حلول التعب والآلام

بوصول أبي الذهب الى دمشق الشام

تأليف

سليمان بن أحمد المحاسني

تحقيق

الدكتور صلاح الدين المنجد

DS
99
.D3
.M3
1962
c.1

منشورات دار الكتاب الجديد

جميع الحقوق محفوظة
دار الكتاب الجديد
١٩٦٢

al-Mahāsinī, Sulayman ibn Ahmad
Holul

حلول التعب والآلام
بوصول أبي الذهب إلى دمشق الشام

تأليف

سليمان بن أحمد المحاسني

تحقيق

الدكتور صلاح الدين المنجد

منشورات دار الكتاب الجديد

Near East

DS
99
.D3
.M3
1962
c.1

المقدمة

الرسالة التي نقدمها نص تاريخي هام يتعلق بالمحاولة الاولى التي جرت في القرن السابع عشر عام ١١٨٥ هـ ١٧٧١ م لسيطرة مصر على الشام ، بعد أن انفصلت عنها بزوال حكم المماليك ومجيء العثمانيين . وقد أعقبت هذه المحاولة ، محاولة ثانية في القرن الثامن عشر عام ١٢٤٨ هـ ١٨٣٢ م. وقد باءت المحاولتان بالفشل . أما الاولى ـ وكانت على يد محمد ابي الذهب ـ فانها لم تنجح قط ، فبعد وصوله الى دمشق ارتد عنها . وأما الثانية فقد نجحت لكن عمرها كان قصيرا ، وكانت على يد ابراهيم باشا . وقد ثار السوريون على حكومة مصر ، فاضطر ، بتأثير مؤثرات داخلية وخارجية الى الانسحاب من الشام بعد أن بقي فيها الى سنة ١٢٥٦ هـ ١٨٤٠ م.

*

كان علي بيك ، زعيم المماليك ، يحكم مصر ، يكاد يكون مستقلا عن العثمانيين ، وكان معتمدا على كبير أمرائه محمد أبي الذهب . وكان عثمان باشا يحكم الشام للعثمانيين ، ويذكر المرادي ان أيامه بدمشق كانت أيام فرح وسرور، وأمان ودعة . وله آثار عمرانية بدمشق . (سلك الدرر ٣ ـ ١٦١)

فشكا أهالي غزة الى علي بيك أنهم يلقون الكثير من العنت من عثمان باشا . فعزم علي بيك أن « يطهر الارض منه » ، وأخذ فتوى من المذاهب الاربعة في مصر على جواز قتاله ، وجهز له بقيادة محمد ابي الذهب ، جيشا كبيرا .. فلما بلغ عكا انضم اليه خمسة من اولاد ضاهر العمر ، ثم التحق به « مشايخ المتاولة والصفدية » . فأقبل نحو دمشق ومعه اربعون الف مقاتل ، وثمانون مدفعا .

أمرت الدولة العثمانية ولاتها بالشام بالتوجه الى قتال أبي الذهب . فتجهز والي حلب عبد الرحمان باشا ، ووالي كلس خليل باشا ، ووالي طرابلس محمد باشا ، ووالي الشام عثمان باشا . فلما بلغ ابو الذهب داريا ـ وهي قرية في غرب دمشق الجنوبي ، من الغوطة ـ لقيته العساكر العثمانية مع الوزراء الاربعة الولاة . وقامت المعركة بين المصريين وجنود العثمانيين في سهل داريا . لكن سرعان ما انكسر العثمانيون، وفر خليل باشا وعبد الرحمان باشا . وثبت كافل دمشق عثمان باشا وولده والي طرابلس محمد باشا ، وثبتت معهما العساكر الشامية . ودام القتال ثلاثة ايام . ثم فر عثمان باشا وولده الى دمشق . عندئذ أرسل ابو الذهب يطلب علماء دمشق وأعيانها . فلما لقيهم طلب اليهم تسليم دمشق ، وأكد لهم ـ على قول المؤرخ المرادي ـ أنه « لا بد له من خذها على

أية حالة ، وتوعدهم ان خالفوه أن يحرقها ويأسر جميع أهلها » . (المرادي ، سلك ١ ـ ٥٥). فاستمهله العلماء حتى يجتمعوا بسائر العلماء والاعيان ، ويتشاوروا في الامر . وصادف أن فر من دمشق عثمان باشا وابنه ، وفر رئيس الجند يوسف آغا جبري ، وفر الاعيان ، وكذلك نقيب الاشراف والمفتي. ولم يبق بدمشق مقاتل يحميها . فاستولى على الناس الخوف والفزع ، وأسرعوا الى العلماء يسألونهم أن يواجهوا أبا الذهب ، ويسلموه الشام خوفا من بطشه ، ودفعا لغائلته . فخرج لملاقاته كبار العلماء ، وكان فيهم مؤلف الرسالة هذه ، سليمان بن احمد المحاسني ، خطيب الجامع الاموي وامامه . فصادفوا عساكر أبي الذهب مقبلة نحو دمشق ، عند القدم . فاستوقفوها ريثما يقابلونه. فلما دخلوا عليه تكلموا معه ، وما زالوا به حتى اخذوا منه أمانا لاهل دمشق .

اراد ابو الذهب أن يحكم دمشق من اللحظات الاولى ، فيعين ويعزل . وقد شاء أن يعين لدمشق قاضيا ومفتيا ونقيبا للاشراف ، لان القاضي والمفتي والنقيب كانوا قد فروا من دمشق ، رعبا من بطش العسكر المصري. لكن علماء دمشق اجمعوا أمرهم على رفض ذلك ، وأعلموا أبا الذهب ان توجيه

هاذه المناصب هو لا خليفة السلطان ليس له . واحتالوا عليه بأن أقاموا وكلاء عن اولائك .

لكن أبا الذهب نكث العهد الذي أعطاه بالامان ، ونصب القنابر ـ اي القنابل ، على القلعة . ويقول المرادي أن سبب ذلك أن رئيس جند القول أغلق باب القلعة ورفض أن يسلمها . فسلط عليها ابو الذهب القنابر ، وكان يرسلها نحوها من المرج الاخضر . فلغباوة الجند المصري صارت القنابر تنزل على أهل البلد ولا تنزل على القلعة ، حتى وقع على سقف الجامع الاموي منها واحدة فخرقته .

وخشي الناس أن تهدم المدينة، واشتد الرعب . وكانت دمشق في الماضي قد ذاقت العذاب من جند المصريين عندما أحرقوا مسجد دمشق في سنة ٤٦١ هـ ، ايام الفاطميين . فثارت الحمية في نفس المحاسني مؤلف الرسالة ، فتوجه الى أبي الذهب ، وأبان له سوء ما فعل بضرب دمشق بالقنابر، وأفهمه أن دمشق مدينة مقدسة ، وايد كلامه بالاحاديث النبوية ، والاحاديث القدسية ، ومنها « يا شام ! من ارادك بسوء قصمته » . فأذعن ابو الذهب ، وأرسل ينادي بالامان لكن بعد أن نهبت عساكره وقتلت وأحرقت .

وكان المحاسني جريئا في قوله ، واستطاع أن يؤثر في

ابي الذهب فأوقف ضرب دمشق ، ومنع عساكره من النهب والسلب فيها وفي ضواحيها .

وظلت القلعة الدمشقية مستعصية لم تسلم مفاتيحها لابي الذهب .

ويبدو أن أبا الذهب أحس بمقاومة القلعة ، وأحس بنفرة الدمشقيين منه ومن جنده ، فأرسل الى علماء دمشق رسالة يذكر فيها انه لم يأت الى دمشق الا لملاقاة عثمان باشا ، وأنه لما تأكد أن عثمان باشا خرج من دمشق عزم هو على العودة الى مصر ، وطلب من العلماء أن يدعوا للسلطان ، وله بالتبعية . وطلب جواب العلماء . فأجابه العلماء جوابا بلغ المنتهى في الزراية به فأعلموه أنهم تسلموا رسالته ، وفهموا ما فيها ، وانهوا رسالتهم بقولهم : « فتوجهوا الى حيث شئتم والسلام » .

وهاكذا لم يطلب علماء دمشق من أبي الذهب البقاء فيها .

وعاد ابو الذهب الى مصر . ولم يرض علي بيك عن تركه دمشق بعد الاستيلاء عليها ، فغضب عليه وطرده ، وانقلب ابو الذهب عدوا له (سلك الدرر ١ ـ ٥٥) . وعمل علي بيك يدل على أنه كان لا يقصد من ارساله الجيش قتال

عثمان باشا بل كان يود الاستيلاء على دمشق والبقاء فيها .

*

ان شأن هذه الرسالة آت عن كونها كتبت بقلم شاهد عيان ، شهد الحادثة ، وكان هو نفسه أحد الذين قابلوا أبا الذهب . وأسرة المحاسني أسرة عتيقة بدمشق، توارثت العلم والقضاء أجيالا طويلة . وكان منها خطباء دمشق ، وقضاتها ، وأئمة الجامع الاموي فيها . وقد قال مفتي دمشق محمد بن عبد الرحمان الغزي في هذه الاسرة :

اذا افتخر الانام بأرض شام
وعدوا دورها ثم المساكن
اقول مفاخرا قولا بديعا
محاسن شامنا بيت المحاسن

وقد أورد هذه الابيات المرادي (سلك ، ٤ ـ ٢٢٣) ٩

ويحدثنا المرادي، أن مؤلف الرسالة ـ سليمان بن احمد بن سليمان بن اسماعيل بن تاج الدين بن احمد المحاسني ـ كان خطيب الجامع الاموي وامامه ، وانه كان اديبا حاذقا ، وذكيا نبيها . وكان يقتني الكتب ويضبطها ضبطا حسنا بخطه . وتقلب في الوظائف وتولى نيابات القضاء بالمحاكم ،

ودرس في الاموي . وبالجملة كان من علماء دمشق وأعيانها . وذهابه الى أبي الذهب في العلماء الذين ذهبوا اليه دليل على ذلك ، ثم ذهابه اليه وحده ، وجراته عليه دليل على قوة شخصيته ، وصدعه بالحق .

وكأنما اراد المرادي ـ وهو معاصر له ـ أن يغمز منه عندما ذكر أنه أغرض على ابن جيري آغة اليرلية ـ فرقة من الجند ـ وأنه نسبه لامور خالية عنه . ثم يذكر أن عثمان باشا ، عندما عاد الى دمشق بعد ذهاب أبي الذهب ، قبض على ابن جبري وخنقه في قلعة دمشق وضبط أمواله . وكان المحاسني قد اتهمه بأنه ساعد العسكر المصري على القدوم الى دمشق ، في أمور أخرى . وألف رسالة اسمها « البغي والتجري في ظهور ابن جبري » . ويذكر المرادي أن الرسالة اشتهرت يومئذ .

وتوفي المحاسني سنة ١١٨٧ هـ \ ١٧٧٣ م. يوم وفاة السلطان مصطفى خان (انظر : سلك الدرر ١ ـ ١٦٥ وما بعدها) .

ان عنوان الرسالة يدل على الالم الشديد الذي كان يعتلج في نفس المحاسني نحو أبي الذهب والعسكر المصري ، وعلى العصبية الشديدة لدمشق وحبه لها . وهو في الرسالة

يبدو عظيم الالم لما أصاب دمشق ، ويصفها وأهلها بعد ذهاب ابي الذهب فيقول : « استمرت أهل الشام في عظيم الشدة والضيق لذهاب أموالهم وخراب قرايا الشام » . ثم يقول : في آخر رسالته : « فنسأل الله سبحانه بالانبياء العظام ، بالملائكة الكرام ، أن يلهم الدولة العلية الانتقام ، ممن كان السبب في تحريك هذه الامور ، وتخريب البلاد ، وايذاء العباد ، ونهب الاموال ، حيث بقت أهالي الشام في أسوء حال .. »

ومن عجيب المصادفات أن دمشق والشام أصابهما أثناء خروج ابراهيم باشا وجيشه المصري ما أصابهما لدى مجيء ابي الذهب ، وأكثر ، من النهب والسلب وفرض الغرامات والاستيلاء على الارزاق ، بل نكل ابراهيم باشا بالدمشقيين لانه شعر بالعداء منهم (انظر : ابراهيم باشا في سورية ، لسليمان بو عز الدين ، ص ٢٩٩ ـ ٣٠١) . وقد فصل مؤرخ دمشق عبد الرزاق البيطار ما أصاب دمشق على يد ابراهيم باشا في تاريخه حلية البشر (الجزء الاول ، ص ١٥ وما بعدها) .

*

ان هذه المحاولة المصرية الاولى للاستيلاء على الشام

جديرة بالعناية والدراسة بتفصيل ، لبيان دواعيها ونتائجها. ولسنا نحن بصدد هاذا في هاذه المقدمة . ولا شك أن هاذه الرسالة هي اول المصادر التي ينبغي الرجوع اليها . وقد ذكر بعض المؤرخين الذين عاصروا الحادثة او رأوها شيئا عنها . نذكر منهم :

المرادي ، سلك الدرر ، وقد مر ذكره .

ميخائيل بريك الدمشقي ، في تاريخ الشام ١٧٢٠ ـ ١٧٨٢ ، ص ١٣٧ (ط. حريصا ١٩٣٠)

الجبرتي ، عجائب الآثار ، ١ ـ ٢٦٤ (ط. بولاق ١٣٠١ هـ.)

احمد واصف ، محاسن الآثار ، ٢ ـ ٢١٥ (ط. استامبول ، ١٣١٩ وقد تفرد بذكر الخطاب الذي وجهه علي بيك الى علماء دمشق على يد أبي الذهب .

ويمكن الرجوع الى :

رسلان القاري ، الوزراء الذين حكموا دمشق . ص ٨٤ (في كتابنا : ولاة دمشق في العهد العثماني ، دمشق ١٩٤٩)

ومن الدراسات الحديثة :

محمد رفعت رمضان ، علي بك الكبير . ص ١٦٥

(القاهرة ١٩٥٠) .

*

عثرنا على الرسالة فى مكتبة جامعة برنستن . وهي برقم ٣٧٦٠ (مجموعة يهودا) ، وهي نسخة المؤلف نفسه ، كتبها بخطه في ربيع الاول سنة ١١٨٥ ، أي بعد خروج أبي الذهب من دمشق . وتقع في ثماني ورقات .

ولما كنا عنينا ، منذ زمن بعيد ، بنشر جميع النصوص التاريخية المتعلقة بدمشق ، ونشرنا منها الكثير ، فقد رأينا أن ننشر هذه الرسالة ايضا ، لفائدتها وشأنها وكونها تجلو صفحة من تاريخ دمشق في القرن الثامن عشر . ويمكن اضافتها الى المصادر المتعلقة بتاريخ دمشق في العهد العثماني التي نشرناها في كتابنا : ولاة دمشق في العهد العثماني .

وقد حافظنا على نص المؤلف كما كتبه بخطه ، وأردفنا النص بفهرس للالفاظ التركية التي وردت وما يقابلها بالعربية، وفهرس للاعلام .

« النـــص »

بسم الله الرحمن الرحيم ، وهو حسبي ونعم الوكيل

الحمد لله مؤيد شريعة نبيه سيد الانام ، رافع أعلام كلمة التوحيد بالحق المتين الى يوم الحشر والقيام ، ناصر لواء من اختاره اماما للعباد من الدولة العادلة العثمانية المستمرة ان شاء الله على توالي الليالي والأيام ، المرتبطة أحكامها بالشريعة المطهرة المحافظة على ما فيه رضاء الملك العلام ، القامعة لظلم وكفر من بغى وطغى في سالف العصور والاعوام، وانها هي الدولة الباقية الوارثة كما استنبط من له قوة في العلم والافهام ، من قوله سبحانه وتعالى في كتابه المكنون (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون) ، ألا وهم آل عثمان ، ذوو الشوكة والمرحمة والايمان ، أيد الله خلافتهم الى انقضاء الدوران ، وأيدهم بنصره ورفعته على ممر الاوقات والازمان ، لاسيما سلطاننا الآن من هو صفوة الدولة العثمانية ، مالك سرير الخلافة الخاقانية ، ملك ملوك الممالك الاسلامية ، خادم الحرمين الشريفين ، سلطان (٢ آ) البرين والبحرين ، سيف الله

المسلول على أعداء الدين، المتوشح بنور الايمان والعلم واليقين، ملك ملوك العالمين ، السلطان بن السلطان بن السلطان الملك المؤيد الغازي مصطفى خان ، دام محروسا مؤيدا أبد الآباد ، بعز مديد ما له نفاد ، وسيف قهر سلطنته محكما في رقاب الطغاة البغاة اللئام آمين .

أحمده سبحانه على نعم لا تحصى ، من الاكرام، وأشكره على أن منحنا يقينا وتثبيتا على الحق والشهادة من فيض فضله الكريم الانعام .

وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تدفع عنا الاهوال وتكون ذخيرة لنا ليوم الزحام .

وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المؤيد بالمعجزات العظام ، الذي جاهد في الله حق جهاده حتى نصر كلمة التوحيد ومحا قتام الجور والظلام، وعلى آله وأصحابه الكرام، الذين أسهروا في نصرته أعينا رضاء للملك السلام ، وطلبا لثوابه العميم بدار المقام ، وسلم تسليما ما فرجت شدة من لطف ذي الجلال والاكرام .

(٢ ب) وبعد ، فيقول العبد المفتقر الى مولاه ، الراجي من ربه سبحانه حسن الختام في دنياه ، المحترق بسعير هذه النار الموقدة من الفتن العظيمة، والداهية التي لم تصب بمثلها

دمشق الشام ، من سالف الدهور القديمة ، من حين فتح السادة الصحابة ، وتمهيد البلاد على أحسن اصابة ، ولكن قدر ذلك الحكم العدل الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، انا لله وانا اليه راجعون . وأنا الفقير سليمان بن احمد المحاسني التميمي المدرس والخطيب بجامع بني أمية لطف الله به وبالمسلمين أجمعين ، وسميتها « حلول التعب والآلام بوصول أبي الذهب الى دمشق الشام » صانها الله عن الكفرة الطغام ، على أبد الايام آمين .

فأقول كما وقع على التحقيق وبالله سبحانه التوفيق الى أقوم طريق : ان أعظم ما توالت به المحن والآلام ، ورمت به حوادث الليالي والايام ما قدر به الباري وأراد ليظهر حقيقة المتمسك بدنيه وسلطانه على اليقين ، ولا يبالي بضرب السيوف والحتوف (٣ آ) ولا يموت على الحق ولو رغمت منهم الانوف ، ممن يظهر الخديعة والنفاق ، ويبطن الكفر ويجنح الى الشقاق ، المتوطنون بدمشق الشام ، الداخلون في صدقات وخيرات ملك ملوك الاسلام .

انه توالت المحن ، وخيل للباغي الفعل السيء أنه حسن، وتوجهت عساكر مصر بمن معها من البغاة أعداء الدين ، أولاد ظاهر العمر اللعين ، واجتمعوا من عدة أشهر تقدمت ، وغير خافي ذلك عن مسامع الدولة العلية والحضرة السلطانية .

وكان عثمان باشا سببا لما أرادوا أن يتوصلوا اليه من البلية ، وضبط البلاد بالكلية ، وفعلوا العام الماضي ببيت الله الحرام، ما فعلوه من الكفر والاهانة والقتام ، واستباحوا حرم مكة ولم يبح لاحد في الاسلام ، وجاؤا مجتمعين الى أن وصلوا الى فناء دمشق الشام ، وضربوا سرادقاتهم خارجها على رؤوس الاشهاد والاعلام ، واستباحوا دماء المسلمين وأموالهم وبلاد الاسلام ، المقدسة المطهرة معدن الانبياء والاولياء العظام ، وذلك يوم الاثنين (٣ ب) تسعة عشر صفر سنة ١١٨٥ ، وكان قائد عسكرهم محمد بيك المكنى بأبي الذهب ذي المكايد والتعب ، ومعه تسعة صناجق وخمسة ما أولاد ظاهر العمر الشقي الخبيث محرك الفساد ، ومتعب البلاد والعباد ، ومشايخ المتاولة والصفدية أهل البدَع والرفض والكفر والفساد ، ومعه نحو ثمانون (كذا) مدفعا ونحو أربعين ألف مقاتل .

ففي ثاني يوم الثلاثة حصل الجنك منهم وخرج اليهم متصرف حلب عبد الرحمن باشا ، ومتصرف كلز خليل باشا ، وعساكر عثمان باشا ، وولده متصرف ترابلس الشام محمد باشا . ففي أقل من ساعة فر هاربا خليل باشا وعبد الرحمن باشا وعساكر واليتا وولده ، وقتل منهم شرذمة قليلة . وبقي واليتا عثمان باشا وولده محمد باشا ، وعسكر الشام اليرليه

والقبقول ، وحصل القتال معهم ثلاثة ايام وأحرقوا في محلة التركمان بيوتا وحاراتا . (كذا)

تم في ليلة الجمعة ٢٤ ص ذهب عثمان باشا فارا وولده محمد باشا فارا وولده محمد باشا ليلا لطرف حماه مالكانته.

ويوم الجمعة ورد مكتوب من أبي الذهب للاعيـــان والعلماء يطلبهم لمواجهته . فذهب اليه علي أفندي محـدث الشام الداغستاني (٤ آ) وأسعد أفندي بكري زاده، والسيد محمد العاني المدرس بجامع بني أمية . فحين واجهوه طلب منهم تسليم البلاد ، وان ما سلموا يأخذها قهرا وحربا وقتالا ويحرق جميع الشام . فأخذوا منه المهلة لصباح يوم السبت لاجل المشاورة مع بقية العلماء وأهل الشام والاوجاقات .

ففي تلك الليلة ليلة السبت ٢٥ صفر بعد العشا فـر هاربا يوسف آغا جبري زاده آغاة اليرليه ، واليرلية جميعا ، وجميع القبقول، ما عدا من في القلعة فانهم حافظوها ، ومعهم آغنهم مصطفى آغا ، وسكروا باب القلعة ، واهتموا بامر القتال بأدوات الحرب والمدافع . وكذلك ذهب السيد حسين أفندي المرادي المفتي وأسعد أفندي البكري ، وحسين أفندي ابـن حمزه لطرف حماه ليلا ، ونقيب أفندي العجلاني فر هاربـا لطرف الجبل والدروز ، وعمادي زاده السيد علي افنـــدي لطرف القرايا ، وآلاي بيك، وكومش زاده، وبقية الاوجاقات.

ولم يبق في البلدة مدافع للعساكر أو مقاتل . وبقت أهـــل الشام مترقبين الحرق والنهب والقتل وسبي النسا ، وماتوا (٤ ب) جوعا وخوفا من ذهاب والينا عثمان باشا وذهـاب الاعيان وتخلية البلدة .

فحينئذ خرج شيخ المحدثـين الداغستاني ، ومؤلـف الرسالة كاتبه سليمان المحاسني الخطيب ، ومفتي الشافعية، والشيخ خليل الكاملي المدرس ، والشيخ عبد الخالق المدرس، وبعض أهل العلم ، وأوقفنا عساكر أبي الذهب المرسلة للهجوم على البلدة الى حين نواجهه . فحين واجهناه تكلمنا معه بمـا قدره الله من المدافعة عن أهل الشام وأخذنا منه أمانا ورايـا للرعايـــا .

وثاني يوم الاحد العصر جاء منه مرسوم مضمونه أنـه نهار غدا الاثنين مع الصباح تبادروا لاردينا وديواننا وهم علي افندي الداغستاني واسمعيل افندي المنيني ، وكاتبه سليمان المحاسني ، وشاكر افندي العمري ، والشيخ احمد المدرس العطار ، والشيخ ابو الفتح العجلوني المدرس ، والشيخ خليل الكاملي المدرس ، والسيد محمد العاني المدرس ، والشيـــخ حسين العطار ، ومن موجود من وجوه البلدة، وكتخدا اليرليه، والايباشيه ، والشرابجه ، والادباشيه ، والزعما ، والسباهية،

وارباب التمارات ، وبيوك كاتب ، وكوجك كاتب (٥ آ) والمقابلجي ، وكتاب خزينة دمشق الشام ، لاجل نظام البلدة على حسب الشرع الشريف .

ففي ثاني يوم ٢٦ ص توجهنا جميعا لارديه وديوانه ، والسيف بين يديه ، والعساكر محيطة بنا .

فقال لنا : مرادي أنصب قاضيا ومفتيا وآغاة يرليه .

فقالوا له الجميع : يا مولانا ! أنت خاطبتنا على حسب الشرع الشريف ، والشرع مقتضاه أن هذه البلدة بلدة حضرة مولانا السلطان مصطفى خان ، نصره العزيز الرحمن ، وتوجيه هذه المناصب له ، ولا يصح من غيره ، ونحن في بيعة حضرة السلطان ورعاياه ، وندعو باسمه ، ومعاشنا ما خيره ، ولكن يمكن أن تأذنوا لامين فتوى المفتي الغايب الشيخ ابراهيم الغزاوي أن يكون قيمقام عنه ، ولشاكر افندي نائب الشرع ان يكون من طرف القاضي لحين وصوله ، ولحموى زاده وكالة عن يوسف آغا فقوى انفعل كثيرا وظهر الغضب في وجهه ، وبعد ذلك البس حموى زاده فروة ، وأمين الفتوى فروة ، وشاكر افندي فروة ، وقرأنا الفاتحة ، وخرجنا من عنده من تحت السيف .

تم ثاني يوم الثلاثاء ٢٧ ص نصب القنابر على القلعة

وعلى البلدة ، ووقع على سقف الجامع الاموي وأحرقـــوه ، وهدم من الجامع ما هدم الى ثاني يوم الاربعاء .

فعند الظهر ضاجت العالم وانتقلت ، واشتد الـرعب والخوف والاضطراب ، وسكرت البلدة . فلما رأينا ذلك توجه كاتبه سليمان المحاسني الى أرديه وقابلته ، وقلت له :

ـ أنت أعطيت أمانا ورايا لاهل الشام ، وحينئذ نصبت القنابر ، واظهرت العذاب على أمة محمد صلى الله عليه وسلم وسكان بلاد الله المقدسة ، ومعدن الانبياء والاولياء ، وأرض المحشر والمنشر، وما من نبي الا من الشام أو هاجر الى الشام. وقال صلى الله عليه وسلم : لا تزال من أمتي فرقة على الحق ظاهرين ، لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعـة ، الا وهم بالشام . وفي بعض الاحاديث القدسية : يا شام ، من أمـك بسوء قصمته . أنت صوط (كذا) اللـه في الارض ، ينتقم بك ممن يشاء من عباده . فلو كنا مجوسا ما فعل بنا هكذا . فاما أن ترفع العذاب عنا والا نستأذنك ونأخذ جميع أهـــل الشام من فقرا ونسا واولاد كبار وصغار ، ونتوجه على وجهنا الى أي مكان قدره الله تحت التهلكة ، وافعل (٦ آ) بعد ذلك بالبلدة ما شئت .

فحينئذ حصل له توقف من طرف الله ، وأرسل نادى بالامان ، ورفع العذاب بعد الاحراق والنهب والقتل ونهـــب

غالب ما في قرايا الشام ومواشيهم ، ونهب سراية ، ودايرة عثمان باشا ما عدا سراية الحرم .

واستقر الامر الى يوم الاثنين رابع ربيع الاول فجاء منه كتاب وفرج الكريم الوهاب . ومضمونه :

« انه كان سبب مجيئنا لهذه البلاد الشامية لاجل مقابلة عثمان باشا . فلو خرج لنا للخارج ما قارشناكم ، وتعرضنا للقلعة أخبرونا أن بها عثمان باشا واموالـه ، فلما تحققنا ذهابه وأنه ليس بها رفعنا التعرض ، وما مرادنا بلدتكم ولا اضراركم وأذيتكم ، وهذه بلدة مولانا السلطان الاعظم مصطفى خان ، والقلعة قلعته ، أيد الله خلافته الى يوم الدين. وقد عزمنا على التوجه والعود الى طرف مصر ، ولم يقع من عسكرنا أذية لاحد من أهل الشام ، فنرجو أن تبتهلوا بالدعا لحضرة مولانا السلطان ولنا بالتبعية وتذكرونا بالخير والجميل والسلام » .

وطلب منا الجواب عن مكتوبه .

فكتبنا له :

« انه وصل كتابكم وعرفتونا أن سبب (٦ ب) مجيئكم لاجل عثمان باشا وقد ذهب ، وان البلدة بلدة حضرة مولانا السلطان ، وما مرادنا البلدة ، والآن عازمين على العود الى

مصر ، فتوجهوا الى حيث شئتم والسلام)) .

وثاني يوم الثلاثة بكرة النهار رحل متوجها الى طرف مصر . وكانت مدة اقامة ابو الذهب من حين مجيئه للشام الى يوم سفره ستة عشر يوما تماما . والله سبحانه فرج بمنه وكرمه .

فعند ذلك اجتمعنا جميع علماء البلدة بالسرايا ، واستأجرنا ساعيا ، وكتبنا كتابا لوالينا عثمان باشا الى حماه أخبرناه بما وقع ، وقيام ابو الذهب من الشام وأرسلنا له صورة (مكتوب) ابي الذهب ، وفتحت البلدة كما كانت أولا.

ثم في يوم الخميس سادس عشر ربيع الاول جاء عثمان باشا ، وولده محمد باشا ، ومعه عسكر من حماه ، وجاء قاضي الشام معه مكي افندي ، والافندية ، وجاء النقيب من عند الدروز ، وجاء يوسف آغا جبري اوغلي من جبل الدروز ومعه نحو خمسة آلاف درزي أنزلهم في البلدة بأمر من عثمان باشا . وعاد خليل باشا بعسكره ، ونزل خارج البلدة . وهذا ما وقع على وجه الصدق .

واستمرت أهل الشام بعد ذلك في عظيم الشدة والضيق لذهاب أموالهم وخراب قراياً الشام .

وكان قبل ذلك أخذ منهم عثمان باشا (٧ آ) نحو الف

كيسا (كذا) من البازركان على سبيل القرض ليوفيهم اياها بواسطة يوسف آغا جبري زاده .

وكان سبب جميع ما وقع بقضاء الله تعالى على أهل هذه البلدة المقدسة سببه الظلم والتعدي ، وتولية الامور من عثمان باشا لغير أهلها لرعاع الناس .

قال صلى الله عليه وسلم : اذا وسد الامر الى غير أهله فارتقبو الساعة .

وقال الله تعالى : (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) .

ولم يقدر أحد يتكلم ويعلم الدولة العلية بذلك .

وحضرة الدولة العلية غير عالمة بأهل الشام والذي حل بها .

وكان السبب مع الأجل في موت مفتي الشام السيد علي افندي المرادي ما حل بدمشق الشام من البلايا ، ولم يجسر أن يعلم حضرة الدولة العلية بالواقع خوفا من امور يلحقه بها الضرر من بعض الاشخاص ، فمات هما وغما وحزنا وخوفا . رحمه الله رحمة واسعة ، وعوضه الجنة ، فانه كان صادقا في خدمة الدولة العلية . فنسأل الله سبحانه بالانبياء العظام ، بالملائكة الكرام ، أن يلهم الدولة العلية الانتقام ممن

كان السبب في تحريك هذه الامور وتخريب (٧ ب) البلاد وايذاء العباد ، ونهب الاموال ، حيث بقت أهالي الشام في اسوء حال ، ورمتهم حوادث الليالي بالنبال . فيا أسفا عليها مذ توالت الخطوب اليها ، وأن يشملوا أهل هذه البلدة المقدسة بعميم انظارهم ويخرجونهم من ظلمات الظلم الى النور ، ويكشفوا عنهم عظيم ما حل بهم من البلاء المسطور ، فان ذلك عند الله تعالى أعظم أجرا من الحج المبرور والسعي المشكور ولله سبحانه وتعالى مقاليد الامور .

قال صلى الله عليه وسلم : كلكم راع ، وكلكم مسؤول عن رعيته .

والى هنا جف القلم ، بما وقع وزحم ، والله سبحانه لطيف قدير ، ولا ينبئك مثل خبير .

والحمد لله وحده ، وصلى الله على من لا نبي بعده ، وآله وصحبه ، وسلم تسليما كثيرا .

وكان الفراغ من تسويدها يوم الجمعة سابع عشر

ربيع الاول الانور سنة خمس

وثمانين وماية والف على يد مؤلفها

الفقير سليمان بن احمد المحاسني

التميمي المدرس والخطيب

بجامع بني أمية

بدمشق الشام

صينت عن الآلام

على أمد الايام ، ما ناح حمام

وهطل غمام

آمين

١ ـ فهرس الالفاظ التركية

اردي : هي المعسكر (سلك ١ ، حاشية ص ٥٦)

اوجاق : ج اوجاقات . الفرقة من الجيش ، وخاصة فرق الانكشارية (قاموس السنه)

اوغلي : الابن

بازركان : التجار

بيوك : الكبير

تيمار : ج تيمارات . هو الاقطاع العسكري ، يمنح لاحد العسكريين مقابل أن يقدم للجيش جنودا في الحرب (قاموس السنه)

الجنك : فارسية الاصل . معناها الحرب

سباهيه : ج سباهي وهو الجندي الخيال ، او الذي أقطع اقطاعا عسكريا في تركيا (قاموس السنه)

شرابجه : السقاة ، الذين يصنعون الشراب أو الذين يبيعونه (قاموس السنه)

قنابر : أي قنابل

قارشناكم : قال في قاموس السنه : لعلها من قرشو ومعناها ضده : أنا قرشو أي أنا ضده ، او سعى لمجابهته،أو قاومه، او وقف له،او ماحكه

القبقول : كان يقال هاذا للعساكر الانكشارية (سلك ١ ، حاشية ص ٥٥)

كتخدا : تلفظ كيخيا . معناها هنا الرئيس

كوجك : الصغير

مالكانه : ج مالكانات . ارض او عقار ملك للدولة او أقطعتها الدولة لاحد الاشخاص (قاموس السنة)

متصرف : كان يسمى بذلك من يدير احدى الولايات . ويقابله في مصطلحنا اليوم « محافظ »

مقابلجي : في الاصل معناها الكاتب الذي يجمع ويقابل الاوراق بعضها ببعض ، او المدقق في وزارة المالية الذي يدقق الاوراق المتعلقة بنفقات جيوش المشاة والخيالة (قاموس السنة)

اليرليه : ذكر في سلك الدرر ١ ، حاشية ص ٥٥ ، ٥٧ انه كأنما عرب من لفظ يرلي التركي، ومقصوده العساكر البلدية او المحلية ، أي التي هي من نفس البلد .

٢ ـ فهرس الاعلام

آل عثمـان : ١٦
ابراهيم الغزاوي : ٢٣
ابو الذهب ـ محمد
ابو الفتح العجلوني : ٢١
احمد العطار المدرس : ٢١
اسعد البكري زاده : ٢٠
اسماعيل المنيني : ٢١
البكري ـ أسعد
جبري ـ يوسف
حسين حمزة : ٢٠
حسين العطار : ٢١
حسين المرادي : ٢٠
حموي زادة : ٢٣
خليل باشا : ١٩
خليل الكاملي : ٢١
الداغستاني ـ علي
سليمان المحاسني : ١٨ ، ٢١ ، ٢٢
شاكر افندي نائب الشرع : ٢٣

شاكر العمري : ٢١
ضاهر العمر : ١٨
العاني ـ محمد
عبد الخالق المدرس : ٢١
عبد الرحمن باشا : ١٩
عثمان باشا : ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٤
العجلاني ـ النقيب : ٢٠
العجلوني ـ ابو الفتح
العطار ـ احمد
العطار ـ حسين
علي الداغستاني : ٢٠ ، ٢١
علي العمادي : ٢٠
علي المرادي : ٢٦
العمادي ـ علي
العمري ـ شاكر
الغزاوي ـ ابراهيم
الكاملي ـ خليل
كومش زاده : ٢٠
المحاسيني ـ سليمان
محمد ابو الذهب : ١٩ ، ٢٠ ، ٢٥

محمد باشا : ١٩ ، ٢٠ ، ٢٥
محمد العاني : ٢٠ ، ٢١
المرادي ـ حسين
المرادي ـ علي
مصطفى خان : ٢٣
مكي افندي : ٢٥
المنيني ـ اسماعيل
يوسف آغا جبري : ٢٠ ، ٢٥